شبرا .. من جزيرة فى النيل
إلى أكبر أحياء المحروسة

لم تكن شبرا فى يوم من الأيام جزءاً من القاهرة « ولم تكن ـ كما هى اليوم ـ فى قلب القاهرة تزخر بالحياة والناس ، حتى قلنا يوماً سخرية من إسرائيل أن عدد سكان شبرا أكثر من عدد سكانها » كانت شبرا مجرد . . ضاحية !

والقاعدة التعميرية التى يضعها أى مخطط أن يبدأ البناء فى أى منطقة جديدة يراد تعميرها ، بأبعد نقطة فيها . . فيقيم فيها المدرسة ، أو السوق ، أو مقر الحكم : المركز أو السلطة أو الشرطة أو المستشفى ، أو حتى ساحة رياضية حتى تأخذ أقدام الناس طريقها إلى هذه المراكز الخدمية . . وشيئاً فشيئاً تبدأ الحياه تدب ما بين مركز الخدمات هذا . . و المدينة القديمة .

وهكذا نشأت المدن والأحياء الجديدة ، بل هكذا كانت نشأة العواصم المصرية بعد الإسلام ، فقد أقام عمرو بن العاص ـ فاتح مصر ـ مدينة الفسطاط بين ضفة النيل وحصن بابليون . وهكذا كانت نشأة مدينة العسكر بعيداً عن الفسطاط فى الشمال ولكن على مرمى العين . . ثم كانت مدينة القطائع التى بناها أحمد بن طولون أيضاً إلى الشمال . . وبعيداً عن العسكر . . حتى عندما بنى جوهر الصقلى فاتح مصر للفاطميين مدينة القاهرة المعزية بناها أيضاً إلى الشمال . . بعيداً عن العواصم الثلاث السابقة . .

ثم لاحظوا معنا الأحياء الجديدة التى نشأت حول مقر الحكم . . وبعيداً عنها .

كانت القاهرة محصورة بين جبل المقطم ونهر النيل . ولم تكن أبداً على الشاطىء . ولأن الناس تعشق الإقامة بجوار الحاكم وقريباً من السلطة حتى تكون فى حماه وقريباًمن عطاياه ، إن كان كريماً ، نجد المصريين بنوا أحياءهم الجديدة حول قصوره ومبانيه .

هذا محمد على بانى مصر الحديثة يقيم قصره فى الإسكندرية فى أبعد نقطة عن قلب المدينة القديمة . . فى منطقة رأس التين . حقيقة أقام قصره قريباً من الميناء الحديث الذى صنعه ليكون وسيلته للاتصال بأوروبا ، ولكنه كان يطبق هذه القاعدة التعميرية . وسرعان ما أقام الناس بيوتهم قريباً من قصره لينشأ حى رأس التين ، والمبدأ التخطيطى نفسه طبق فى منطقة القبة ، فقامت القصور الفاخرة حول قصر القبة وعلى طول الطريق الذى يصل بين مصر . . والقبة لينشأ حى القبة !!

وهكذا فعل محمد على عندما أراد تعمير منطقة شبرا . .

فقد اختار مكاناً قصياً ليبنى لنفسه قصراً تهدأ فيه نفسه . . وتلك هى بداية شبرا !!

●● ففى منتصف شهر ذى الحجة ١٢٢٣هـ ـ يناير ١٨٠٩م ـ أى قبل مذبحة القلعة ـ اختار محمد على باشا موقعاً على شاطىء النيل فى منطقة شبرا مساحته ٥٠ فداناً فى متسع من الأرض، يمتد إلى بركة الحاج ، واستولى فيه على عدة قرى وإقطاعات ، وبدأ بناء القصر ، وغرس فيها البساتين والأشجار . . ولكن سقط سقف القصر بعد انتهاء بنائه فى مايو ١٨٠٩م فأعيد بناؤه . وفى ١٨١٢م أنشأ محمد على عدداً من السواقى لتوفير المياه للقصر والحدائق ، إلا أنها تهدمت فى سبتمبر ١٨١٦م بفعل قوة مياه الفيضان أمام القصر .

ويصف الشيخ خليل بن أحمد الرجبى ـ فى كتابه «تاريخ الوزير محمد على باشا » الذى كتبه عام ١٨٢٢م منسوخاً ـ هذا القصر وحدائقه فيقول بلغة عصره حيث الجناس والطباق والمحسنات اللفظية : « ومن آثاره العظيمة الكبيرة الجسيمة إنشاؤه بستانه الشهير ومرج منزهه الكبيربناحية شبرا بساحل البحر . فهناك أبدع البستان وشيد القصر . أما القصر فالعيان عنوانه . أما البستان فهو فى غاية الاتساع ، يسير فيه

الذاهب مبتهجاً بتلك الأوضاع ينوف عن ٥٠ فدانا فى المساحة ، لايدانيه أبداً بستان فى تلك المساحة ، مهندس بطرق على خطوط مستقيمة وطرق مربعة ومخمسة ومثلثة ومسدسة قويمة . والزروع بادية والثمار نامية والأغصان مايسة . وأجفان جداول مياهها كأنها فى الصف ناعسة . وبذلك البستان البركة المعلومة التى هى من الرخام الشفاف مرصوصة مرقومة . وعلى دايرها المصاطب بالقوايم والسواعد الرخام وبحنياتها المجالس العالية المرتفعة . وبها النقش الجميل الأصفر الذهبى اللازوردى المشرق عن الأحمر اللهبى . رفعت تلك المجالس على سباع تامة الأشكال مصنوعة من الرخام الشفاف بديع المثال ، تخرج من أفواهها وأنوفها المياه العذبة الصافية وتصب فى تلك البركة . وبالبركة الزورق المذهب يصعد فيه من لتلك المجالس يذهب !! ولأن هذه الفسقية كانت من أبرز ما فى قصر شبرا ، فقد عرف العامة هذا الفصر باسم قصر الفسقية .

●● المهم أن محمد على باشا خصص للعناية بالقصر وحدائقه مجموعة من المهندسين الزراعيين الذين أوفدهم للدراسة فى أوروبا . . واستخدم محمد على هذا القصر وحدائقه كحقول تجارب زراعية . كما نقل إليه مدرسة الزراعة « ١٢٤٩ هـ ـ ١٨٣٣م » والمدرسة البيطرية « ١٢٥٣هـ ـ ١٨٣٧م » أى أن القصر لم يكن مجرد قصر للحكم . . بل فتحه مركزا للعلوم الزراعية والبيطرية بعد سنوات قليلة من تمام إنشائه !!

وتعالوا نتابع اهتمام محمد على باشا بالتجارب الزراعية وزراعة كل ما هو مستحدث .

ففى ٦ ذى الحجة ١٢٤٥هـ ، أمر محمد على باشا بإرسال أشجار العنب الأفرنجى والمجرى المستحضرة من الأستانة « إستانبول » صحبة محمد بك بشتان إلى ناظر جنينة شبرا لزرعها بها . . غير التوت والجوز والنبق والليمون والمخيط والتين والسرو. . .

وفى ٢١ ذى القعدة ١٢٤٨هـ ، أصدر محمد على أمراً إلى حبيب أفندى بفرز وتخصيص ١٠٠ فدان بجوار حديقة شبرا هذه « لزراعة أنواع المزروعات الأوروباوية بها

وترتيب السواقى اللازمة لها وبناء محال بها لإقامة ٣٠ شخصاً من أبناء كبار مشايخ البلاد والأغنياء المقتدرين لتعليمهم كيفية زرع تلك المزروعات بمعرفة التلامذة الثلاثة الذين حضروا من أوروبا السابق إرسالهم من هنا تشويقاً لغيرهم ـ أى طلاب البعثات الذين أرسلهم إلى فرنسا وإيطاليا ـ ولاحظوا ماذا فعل محمد على لتشجيع زراعة هذه الأصناف «الأوروباوية » . . لقد أنعم أفندينا ولى النعم على كل واحد من الـ ٣٠ طالبًا بمائة فدان . وكان من ضمن هؤلاء والد المرحوم الدكتور محمد نصحى بك وحضرة حسين نصحى بك محافظ دمياط (١٩٢٨م باعتباره ابن المرحوم أبو قورة الكبير عين أعيان ميت العامل بمديرية الدقهلية . .)

وأحد هؤلاء الطلبة الذين بعث بهم محمد على لدراسة الزراعة فى القرن ١٩ ، هو يوسف أفندى ، الذى عند عودتهم من فرنسا ـ كما يقول أمين باشا سامى فى مؤلفه الكبير « تقويم النيل » « حصلت ريح شديدة ، سببت إقامة العائدين معه نحو ثلاثة أسابيع بجزيرة مالطا . وتصادف فى تلك المدة أنه رست سفن حاملة أشجاراً مثمرة من جهات الصين واليابان ، فاشترى منها يوسف أفندى هذا ثمانية براميل بها شجر مثمر من النوع المعروف الآن باسم يوسف أفندى . ولما وصل للإسكندرية وحدد وقتًا لتشرفهم بمقابلة سمو أفندينا محمد على باشا « لاحظوا مدى اهتمام الحاكم باستقبال المبعوثين »، وجاء دور مقابلته لذاته العلية التمس أن يحمل معه فى طبق جانباً من الفاكهة ، التى كان قد اشترى أشجارها ،وعندما تناولها سموه وأعجبته سأله عن اسم الفاكهة . . وكان يوسف قبل ذلك سأل بعض الحاشية عمن يحبه الوالى من أولاد سموه أكثر من غيره ، فأخبره بأنه يحب طوسون باشا ، فقال لولى النعم إن اسم هذه الفاكهة هو «طوسون » فتبسم محمد على باشا ، وقال له أفندينا : ما اسمك ؟ فقال يوسف . فأمر أفندينا بأن يسميها «يوسف أفندى » ، وأمر بأن تزرع هذه الفاكهة الجديدة فى جنينة قصر شبرا فعرف هذا النوع بجهات شبرا وما جاورها للآن «١٩٢٨» باسم طوسون ، وعرف بباقى الجهات باسم يوسف أفندى . ويوسف أفندى هذا هو الذى كلفه محمد على باشا ، فيما بعد بملاحظة التجارب الزراعية فى نبروه ، وأعد نظاماً خاصاً لها . .

والفاكهة التى تشتهر الآن بمصر باسم يوسف أفندى يطلقون عليها فى لبنان اسم «كالامنتين » وفى أوربا اسم «ماندرين » ، وفى باكستان اسم « ساندرا » أو «سانترا » ومنها الآن نوع بلا بذور . . أصغر وأصفر يميل إلى الحمرة .

وفى ٨ من المحرم ١٢٥٢هـ ـ ١٨٣٦م أرسل محمد على إلى ناظر زراعة شبرا « رأسين من الثوم » أرسلهما له سر عسكر الدونمانمة المنصورة موطش باشا « أى قائدالقوات المسلحة » وقال إنهما من جهة فاس بالمغرب . وأمر محمد على ناظر زراعته فى قصر شبرا بزراعة هذا الثوم والتنبيه على من يلزم الالتفات إليه حتى ينمو . . وعرض النتيجة عليه شخصياً ؛ أى إن حاكم مصر كان يهتم حتى بزراعة الثوم الجديد الوارد إليه من . . المغرب !!

المهم أن محمد على أمر بأن يشرف على هذا القصر وحدائقه ذو الفقار باشا كتخدا ، وأمر بأن تنقل إلى جوارها إصطبلات للخيول .

●● وكما يقول على باشا مبارك فى سفره العظيم « الخطط التوفيقية » وأمين باشا سامى فى مؤلفه الضخم « تقويم النيل » ، فإن قصر شبرا كان أول مبنى يضاء بغاز الاستصباح فى مصر ، وكان هذا عام ١٨٢٩م . وفى هذا القصرالتقى محمد على باشا بالأمير عبدالله بن سعود ، الذى تولى زعامة الوهابيين فى الجزيرة العربية بعد وفاة أبيه ، بعد أن انتصر عليه القائد إبراهيم باشا وأسره وأرسله إلى والده محمد على باشا ، فوصل إليها محروسا فى ١٦ نوفمبر ١٨١٨م ، فأنزلوه فى قصر إسماعيل باشا « ابن محمدعلى » فى بولاق . وتقابل مع محمد على فى قصر شبرا ، وكان بصحبته صندوق به ما تبقى مما أخذه الوهابيون من الحجرة النبوية الشريفة . وأرسل محمد على الأميرعبدالله بن سعود إلى الأستانة ـ بناء على أوامر السلطان العثمانى ـ فى ١٨ نوفمبر ١٨١٨م ، فتم إعدامه أمام باب القصر السلطانى فى العاصمة العثمانية ، كما جاء فى تاريخ الجبرتى ج ٤ ص٢٠٧ ـ ٢٩٨ .

●● وفى عام ١٨٤٧م فى أواخر أيام محمد على باشا ، أصدر حاكم مصر العظيم

أمره « بتمهيد طريق متسعة بين مصر . . وشبرا » وهنا نلاحظ أن شبرا حتى هذا التاريخ لم تكن جزءاً من القاهرة ، بل كانت ضاحية . . وكانت بعيدة عنها . وتلك هى بداية شارع . . شبرا !! وكان هدف محمد على أن يتحول هذا الشارع إلى مكان للنزهة والترويح خارج عاصمته . . مصر . وحتى يتحقق الهدف جاء القرار بأن يكون هذا الشارع أعرض شوارع مصر فى ذلك العهد ، وأكثرها استقامة . .

وأمر محمد على بغرس أشجار اللبخ والجميز بالتبادل على حافتى الطريق « التام الاستقامة » ، الذى أنشأه من شبرا إلى باب قنطرة الليمون بالقاهرة ؛ حتى صار طريقاً مظللاً والمنتزه الجميل لأهل القاهرة . واستمر الطريق « شارع شبرا » على جماله البديع إلى أن فتحت قناة السويس فى عهد الخديو إسماعيل ١٨٦٩م . .فأخذ جانباً من أشجار اللبخ وأعاد زراعتها فى الطريق الذى أعد لمرور « الإمبراطورة أوجينى » ، إمبراطورة فرنسا ، وهو الطريق الموصل إلى سراى الجزيرة التى أعدت لإقامتها « الآن قلب فندق ماريوت » وأيضاً زراعتها فى طريق الأهرام « شارع الأهرام » تمهيداً لزيارة جلالتها لمنطقة الأهرام ؛ للتخفيف من حرارة الشمس فى هذا الطريق الذى مهده الخديو إسماعيل .

ويقول على باشا مبارك فى كتابه « الخطط التوفيقية » إنه مازال يوجد فى نهاية هذا الطريق ـ شارع شبرا ـ بالقرب من شبرا البلد بقية من شجر الجميز لغاية الآن ، أى إلى عام ١٨٩٠م تاريخ تأليف الخطط التوفيقية . ويضيف أنه « لما كان شجر اللبخ يزهر فى كل عام زهرته الزكية الرائحة الناعمة الملمس ، كان الناس يطلقون على هذه الزهرة «دقن الباشا » نظراً لجمال لحيته !! . . ولم يبق فى شارع شبرا إلا أشجار الجميز التى ذهبت هى الأخرى .

وأصدر محمد على تعليمات واضحة بأن يتم رش شارع شبرا بالمياه مرتين يومياً . الأولى عند الضحى والثانية عند العصر ، بهدف تلطيف درجة الحرارة صيفاً ، وتثبيت تراب الشارع شتاءً ، لتشجيع الناس على ارتياده للنزهة . وتم تعيين العمال اللازمين للمحافظة على نظافة الشارع وجماله والاهتمام بأشجاره . .

بل وأمر محمد على أولاده وأحفاده ببناء القصور والمساكن على طول هذا الشارع . وشجع الأعيان والأغنياء على ذلك أيضاً . ومنذ ذلك العهد تحولت شبرا إلى منطقة لسكن الأمراء والباشاوات والطبقة الأرستقراطية من البكوات وغيرهم . وكان الميسورون قد اتخذوا عربات « الدوكار » للنزهة ، وهى عربة صغيرة يجرها جواد واحد ، وكانوا يزينونها بالورد نهاراً والمصابيح ليلاً .

●● وبعد وفاة محمد على باشا ١٨٤٩م آلت هذه السراى وحدائقها إلى ابنه عبدالحليم باشا . فبنى فى الحديقة قصراً آخر ، كما جاء فى كتاب الخطط التوفيقية ، وفى « تقويم النيل » لأمين سامى . وفى عام ١٢٧٩ هـ يوم ٢٩ شعبان أرسل الخديو إسماعيل أمراً إلى مصطفى الكريدى باشا محافظ مصر « حيث إنه لايوجد محل فى مصر لإقامة صاحب الدولة طوسون باشا ، نجل عمنا المرحوم سعيد باشا ـ والى مصر السابق » فقد أهديته وأحسنت إليه بقصر النزهة الأميرى ، الذى فى طريق شبرا . وكذا بالأراضى الموجودة داخل سور القصر المذكور . فعندما تحيطون علماً بذلك يجب أن تبادروا بتحويل حجة القصر المذكور والأراضى التابعة له إلى اسمه المشار إليه طوسون باشا وتسليمهما لطرف دائرته . « تقويم النيل ـ المجلد الثانى ـ جزء ٣ ص ٤٦٣ » ، وهذا هو سر تسمية المنطقة المعروفة فى شبرا بمنطقة طوسون باشا .

وفى ٢٢ شوال ١٢٧٩هـ زار السلطان العثمانى عبد العزيز مصر بدعوة من الخديو إسماعيل ، وهو أول سلطان عثمانى يزور مصر بعد أن فتحها السلطان سليم الأول عام ١٥١٧م . وزار السلطان عبد العزيز قصر النزهة هذا . ثم غادره إلى قصر شبرا فاستقبله الأمير عبد الحليم باشا ، أى إن قصر النزهة الذى منحه إسماعيل لابن عمه طوسون غير قصر شبرا الذى بناه جده محمد على باشا . .

وقصر النزهة للأسف تحول إلى مدرسة التوفيقية . . إلى أن تم هدم القصر . . أما قصر شيكولانى فقد تحول إلى مدرسة الاستقلال

●● وعلينا هنا أن نلاحظ مدى اتساع شارع شبرا عند تمهيده . . وحتى نعرف

مدى اتساعه . . علينا أن نلاحظ اتساع شوارع القاهرة القديمة . بل وشوارع مدينة نصر لنعرف مدى بعد نظر محمد على ، الذى كان يخطط لشارع يعيش العمر كله دون متاعب . . كان يخطط لحى كامل يكون عموده الفقرى شارع شبرا . . ما رأيكم ؟!

تلك هى حكاية شارع شبرا الذى قام حوله أكبر وأشهر أحياء القاهرة ، الذى كان الفضل فى إنشائه يعود إلى محمد على . .

ولكن ماذا عن شبرا . . الاسم و الموقع . . المكان والتاريخ ؟!

نقول هذا لأن شبرا كانت عبارة عن جزيرة وسط النيل ، اسمها جزيرة الفيل ، ثم بفعل إطماء النيل اتصلت الجزيرة بالأرض ، لتصبح هى أرض شبرا وروض الفرج !

●● ورد ذكر شبرا لأول مرة فى « تقويم النيل » الجزء الأول ص ٢٢٩ « عندما أوفى النيل فى أواخر شهر أبيب . وكسر السد أول يوم من مسرى وفتحه « لاجين » أمير مجلس . وكان للناس مدة طويلة لم يروا قبلاً مثل هذا ، لأنه قطع الطرقات والجسور وغرقت أراضى المنية و . . « شبرا » ، والروضة وطريق مصر وبولاق « أى كانت بولاق ضاحية لمصر ولم تكن جزءاً من القاهرة » وجزيرة الفيل وكوم الريش ، وطفت الآبار ، وكان هذا عام ٨٨٢ هـ .

وشبرا اسمها الأصلى وهو المصرى القديم : شبرو . وردت به فى كتاب « أحسن التقاسيم » للمقدسى ؛ حيث ذكرها أى شبرا الخيمة بين المنيتين ، وهما منية الأصبغ ومنية السيرج . وبين دمنهور شبرا المجاورة لشبرا من الجهة البحرية . وكانت منية السيرج واقعة على شاطىء النيل حتى عام ٦٨٠هـ ، وفى تلك السنة طمى النيل الذى كان فاصلاً بينها وبين جزيرة الفيل ، فانضمت إلى الأرض لتكون المنطقة المعروفة الآن باسم شبرا وروض الفرج .

وشبرو محرفة عن جبرو ، وهى كلمة قبطية معناها الكوم أو التل « وهنا نتساءل عن سر تمركز أعْداد كبيرة من أقباط مصر فى منطقة شبرا . هل بسبب أصلها القبطى؟! ثم ذكرها الإدريسى فى موضعين الأول باسم « سيروا » فقال : وبأسفل الفسطاط «ضيعة

سيروا » ، وهى ضيعة جليلة ، يعمل بها شراب العسل المتخذ بالماء والعسل وهو مشهور فى جميع الأرض . والثانى باسم « شبره » ، وفى نسخة أخرى وردت محرفة باسم « سبره » قال « وهى قرية يعمل فيها شراب العسل المفوه فى جميع الأرض وبها خيمة البشنس . فهل هذا الشراب كان نوعاً من الشربات وكان العسل يستخدم بإضافته إلى الماء لصنع هذا الشراب ، وهل سبب ذلك قربها من منطقة بنها التى كان يجود فيها العسل حتى اقترن العسل بمدينة بنها فقالوا : بنها العسل ؟!

المهم أنه مما لاشك فيه أن اسم « سيروا » الوارد فى الموضع الأول هو محرف عن شبرو الواردة فى كتاب المقدسى . . ويقول محمد بك رمزى فى مؤلفه العظيم «القاموس الجغرافى » :

تبين لى أن « سيروا » محرفة عن شبرو التى هى شبره ، وكلها اسم واحد لشبرا هذه؛ لأن من يتأمل ما ذكره الإدريسى يرى أنه نقل « سيروا » من مصدر غير الذى نقل عنه «شبره » . ومع اختلاف الاسمين بسبب التحريف ، فإن كل مؤلف حافظ على وصف هذه القرية وما يعمل فيها من شراب العسل ، ومن وضعها بأسفل الفسطاط « أى جنوب مدينة الفسطاط لأنه لم يكن بين الفسطاط وشبرا مناطق سكنية تذكر . وكانت الفسطاط تؤخذ كمقر معروف للتعريف بما بعدها . . » .

ووردت شبرا فى كتاب « المشترك » لياقوت ، قال : شبرا دمنهور لمجاورتها بقرية دمنهور شبرا . وفى « قوانين ابن مماتى » وفى « كتاب الانتصار » : شبرا الخيمة . وقال فى « الانتصار » إن سوقها يوم الثلاثاء . وبها سوق وجامع وطواحين وأفران ومعاصر زيت حار و «شيرج » وغير ذلك ، والمقصود زيت السيرج ناتج عصر السمسم» . ووردت فى « تحفة الإرشاد » باسم: « شبرا . من الضواحى » وفى التحفة: شبرى الخيمة . وهى شبرى الشهيد من ضواحى القاهرة .

وفى كتاب « وقف السلطان الغورى » المحرر فى ٩١١ هـ وردت هكذا « شبرا القاهرة» لأنها من ضواحى القاهرة . وفى كتاب « تاج العروس » : شبرا المكاسة لأن

خيمة المكس « أى تحصيل الضرائب » كانت تضرب فيها ؛ أى كانت مركزا لتحصيل الضرائب أى المكوس . .

وفى الخطط المقريزية : شبرى الخيام . يقال لها شبرا الشهيد لأنه كان يوجد بهذه القرية صندوق صغير من الخشب فى داخله إصبع شهيد من شهداء النصارى ، اسمه الشهيد أنبايخنس محفوظ بها دائما . فإذا كان ثامن شهر بشنس من الشهور القبطية ، يخرجون ذلك الإصبع من الصندوق ، ويغسلونه فى بحر النيل لزعمهم أن النيل لايزيد فى كل سنة حتى يلقوا فيه ذلك الإصبع . ويسمون احتفالهم بذلك عيد الشهيد . فاشتهرت بهذا الاسم « لاحظوا هذه الأسطورة مع أسطورة عروس النيل وعلاقتها بفيضان النهر » وقال : وتعرف بشبرا الخيمة ، أو الخيم ، أو الخيام ؛ لأن الناس كانوا يحتفلون سنوياً بذكرى عيد الشهيد على اختلاف طبقاتهم فى خيام ينصبونها على شاطىء النيل بشبرا هذه للإقامة فيها عده أيام عيد الشهيد . فاشتهرت بـ « شبرا الخيمة» ، وهذا اسمها . وسكان القاهرة يقولون : شبرا البلد تمييزاً لها من قسم شبرا أحد أقسام مدينة القاهرة . وعلى لسان العامة شبرا بغير تمييز لشهرتها عن دون الشبراوات الأخرى .

ولما أنشىء مركز شبرا عام ١٨٧١م جعلت شبرا قاعدة له ، ولكن لم تطل إقامة هذا المركز بهذه البلدة لوقوعها فى النهاية الجنوبية من بلاد المركز . فأصدرت نظارة «وزارة» الداخلية قراراً فى عام ١٨٧٥م بنقل ديوان المركز من شبرا إلى ناحية الخزانية لتوسطها نوعاً بين بلاد المركز ، مع بقاء المركز باسم مركز شبرا . وفى عام ١٨٩٦م سمى مركز نوى إلا أن « إميلينو » ذكر فى جغرافيته قرية باسم شبرا رحمة » ، وقال إن اسمها العربى شبرا رحمة والقبطى بروهيبو ، وأنها من ضواحى القاهرة . كما وردت فى قائمة الكنايس وبالبحث ـ يقول محمد رمزى بك ـ تبين أن شبرا رحمة هى بذاتها شبرا الخيمة هذه . . وهى من ضواحى القاهرة .

●● ولأن الشىء بالشىء يذكر ، فما دام محمد على هو الذى مهد وبنى شارع

شبرا، فإن محمد على ايضاً هو الذى كان وراء تمهيد شارع الترعة البولاقية . . ولكن البداية كانت مختلفة . .

البداية ترعة أمر محمد على باشا بحفرها لرى أراضى ضواحى القاهرة . . ففى عام ١٢٤٢هـ ـ ١٨٢٧م تم حفر الترعة البولاقية هذه ، وقام بهذا العمل الكبير محمود أفندى الميارجى مدير القليوبية والمهندس ثاقب باشا ، وكانت تمتد من منطقة قصر النيل الحالية ؛ أى كان فمها تحت كوبرى ٦ أكتوبر بين فندق هيلتون رمسيس ومبنى الاتحاد الاشتراكى ، ثم تخترق الترعة ميدان عبد المنعم رياض حالياً ، ثم تمر بشارع الجلاء الحالى ، ومن يدقق النظر يجد لافتة هذا الشارع الآن هكذا : « شارع الجلاء ـ شارع الترعة البولاقية سابقاً » أى إن شارع الجلاء بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م أطلق على الشارع الذى كان اسمه شارع الترعة البولاقية . . الذى كان فى الأصل مجرى الترعة البولاقية .

ثم يستمر سير الترعة إلى أن تنحرف شمالاً لتدخل إلى شبرا ، وتسير موازية لشارع شبرا الذى شقه محمد على . . وكان الهدف من حفر الترعة البولاقية ، وهى بطول ١٨٣٠٠ متر هو رى أراضى ضواحى القاهرة وبولاق كجزيرة بدران ومنية السيرج وشبرا فى غير وقت الفيضان « على مبارك ـ الخطط ج ١٩ ص ٤٣ ـ ٤٤ » .

ولماذا حملت الترعة اسم « البولاقية » ؟! لأن المنطقة كلها كانت من قصر النيل حيث قصر بنت محمد على باشا إلى ما بعد رملة بولاق كان اسمها بولاق . . ولم تكن بولاق حتى عصر محمد على جزءاً من القاهرة ، بل كانت من الضواحى . فهى كانت على شط البحر « أى النيل لأن المصرى كان يسمى النيل بحرًا لضخامته واتساعه عن بقية الأنهار التى سمع عنها المصرى » وما بينها ومنطقة الأزبكية حيث قصور الأمراء والبكوات كانت أرضاً زراعية .

وكانت أراضى شبرا ولاحظوا « جزيرة بدران » أرضاً زراعية مع منية السيرج ، فكان لابد من توفير مياه الرى لها ، فحفر محمد على هذه الترعة . . إلا أن العمران سرعان ما

زحف على كل هذه المناطق ، ولم تعد بدران جزيرة ولم تعد شبرا ولا بولاق أرضاً للزراعة ، بل للسكن والإقامة . . وكما تم ردم الخليج المصرى عام ١٨٩٦م الذى كان يوفر المياه لأحياء القاهرة من فم الخليج عند سور العيون إلى غمرة . . تم ردم الترعة البولاقية . . لتذهب الترعة ويبقى الشارع ذكرى تقول : كانت هنا ترعة . وكانت هنا أراضٍ زراعية أكلها العمران ، بعد أن كانت توفر لنا ما نأكله !!

وتضخمت شبرا . . وتعددت مناطقها . . واتسعت .

منها شبرا مصر . . وشبرا البلد . . وشبرا المظلات . . وشبرا الخيمة . . وحدائق شبرا التى ذهبت حدائقها ، كما ذهبت حدائق حلوان وحمامات حلوان . . . وحدائق القبة وحمامات القبة وثكنات المعادى وحدائق المعادى . . فقد ذهبت كل هذه الحدائق والحمامات لتحتل مكانها العمارات والمساكن . . بعضها عصرى وبعضها عشوائى .

منها مثلاً : قصر زينب هانم بنت محمد على باشا الكبير على شارع شبرا نفسه . وقصر إنجه هانم أرملة محمد سعيد باشا والى مصر ، وقصر النزهة الذى جدده الخديو إسماعيل وكان يقصده للراحة والنزهة ، وقصر شيكولانى البديع الحافل بالتماثيل النادرة . وفى قصر زينب هانم هذه تزوجت صغرى بنات محمد على من كامل باشا يوم ٢٧ صفر ١٢٦٢هـ ، وتكلف زواجها ٣١٥١٢٠ جنيهاً بما فيها ثمن مجوهراتها .

وأصبح شارع شبرا تظلله أشجار الجميز واللبخ ، وتتعانق الأشجار لتصنع مظلة خضراء تظلل المارة والمتنزهين ساعة الغروب ، وأصبحت « جهة شبرا » بمزارعها النضرة مكاناً للتنزه والرياضة . وكان المار يرى الدواب المطهمة تغدو وتروح أو واقفة فى انتظار سيدها ، ويرى العربات الضخمة تجرها الجياد ، تحمل أفراد الأسرة الحاكمة والسراة والأعيان . . ويتقدم تلك العربات القمشجية أى السواس ليوسعوا الطريق أمامها وإتماماً لمظاهر الأبهة .

ويعود للخديو إسماعيل فضل تمهيد مدخل القاهرة الزراعى من عند نهاية شارع شبرا الرئيسى ، وهو المدخل الذى يؤدى إلى محافظات القليوبية والمنوفية والغربية

وغيرها . . وكانت كل السيارات التى تريد الدخول إلى هذا الطريق الزراعى تسلك شارع شبرا نفسه ؛ لأن تصميمه كان أوسع شوارع القاهرة وأكثرها استقامة ، ويتحمل حركة المرور المسافرة إلى الوجه البحرى . .

●●●

واعترافاً بأهمية حى شبرا ، وبعد أن زادت كثافة السكان فيه تم ربطه بقلب القاهرة بخطوط الترام فى السنوات الأولى لدخول الترام إلى مصر . . وإذا كان أول خط للترام بدأ فى مصر عام ١٨٩٦م ، فإن الشركة البلجيكية التى أنشأت شبكات ترام القاهرة بدأت فى تسيير خط من العتبة الخضراء إلى شبرا عام ١٩٠٣م . وفى عام ١٩١٢م كان فى القاهرة ٢٠ خطاً للترام ، كان منها لشبرا الآتى : خط رقم ٨ الذى يبدأ من العتبة إلى ميدان الأوبرا إلى ميدان باب الحديد ثم إلى شبرا البلد . وخط رقم ٩ من ميدان العتبة إلى ميدان الخازندار ، عبر شارع كلوت بك إلى محطة باب الحديد ، وينتهى عبر شبرا إلى روض الفرج . وخط رقم ١٦ من ميدان العتبة إلى ميدان الأوبرا إلى مدرسة الصنايع فى بولاق إلى روض الفرج . أما خط رقم ٢١ فكان يبدأ من العتبة إلى ميدان الأوبرا إلى باب الحديد ، وينتهى عند القسم القديم لشبرا ؛ أى كان يخدم شبرا ٤ خطوط ترام من جملة ٢٠ خطاً هى كل شبكة ترام القاهرة ، وكان يخدمها من خطوط الأتوبيس فى العام نفسه ١٩١٢م خط أتوبيس ٤ ، الذى يبدأ من ميدان أزبك الواقع بين ميدان الأوبرا وميدان العتبة إلى شبرا ، وخط ١٧ من السبتية إلى روض الفرج ، وخط ٢٦ من روض الفرج إلى إمبابة .

وتوسعت شبرا وتم شق العديد من الشوارع ، وأهم شوارع شبرا من ناحية نفق شبرا على اليمين : الشماشرجى وأرض الطويل وشارع أحمد بدوى . وعلى اليسار ، قسورة الشوام وجزيرة بدران ، وأهم شوارعها شارع جزيرة بدران . . زنانيرى . . قطة . . البعثة . . السلمى ، وفيها كنيسة ومدرسة الأفرنج الكاثوليك ومدرسة البنات . .

وإذا اتجهنا شمالاً نجد على اليمين شيكولانى حيث القصر القديم، وفى أقصاها

الشرقى نجد مستشفى لورد كتشنر وعزبة محمد هرمسَ وأهم الشوارع : العطار . . الكرجى . . أبو المعالى . . يلبغا ، وأهم المبانى دير الراهبات ومدرسة البنات للأفرنج الكاثوليك ، وعزبة حنا بك نصر الله . وعلى يسار هذه المنطقة نجد قصر النزهة ، وأهم شوارعها شارع فؤاد وشارع نشاطى ثم شارع مسرة وشارع مدرسة التوفيقية ، وأشهر مبانيها قسم شرطة شبرا ، ومدرسة شبرا الأميرية للبنات ، وكنيسة الأفرنج الكاثوليك ، وكنيسة الأقباط الأرثوذوكس ، ومدرسة التوفيقية . وفى أقصى الشمال الغربى مدرسة شبرا الثانوية الأميرية ، حيث شارع أبو الفرج ، ويلاحظ أن الشوارع كلها تقريبا تتفرع من شارع شبرا نفسه وتتقاطع عليه ؛ أى إن شارع شبرا كان هو العمود الفقرى الذى قام عليه جسم حى شبرا كله .

وشمال تقاطع شارع شبرا مع شارع روض الفرج نجد على يسار شارع شبرا منطقة روض الفرج بعد دوران شبرا ؛ حيث كان مقر كلية الآداب التابعة لجامعة عين شمس قبل انتقالها إلى مقر الجامعة فى العباسية ، ومدرسة الأمير فاروق الثانوية الأميرية ، وشارع راتب باشا ثم شارع يعقوب موصيرى إلى أن نصل إلى حدائق شبرا ، ويستمر شارع شبرا . .

وعلى يمين الشارع ـ بعد شارع يلبغا ـ نجد مسجد الخازندار ، ثم شوارع شيبان . . خمارويه . . بحرى القره قول « والقره قول » هو مقر قسم الشرطة ، والذى تحرف إلى «الكراكون » عند العامة . . لنصل إلى عزبة الزهرية ، ثم عزبة على باشا شريف ، بينما تستمر الترعة البولاقية وهى تتجه شرقاً أكثر ، بعد تقاطع روض الفرج ، حيث تنقسم إلى قسمين ، الأول إلى اليمين يحمل اسم ترعة الدكر ، والثانى إلى اليسار يحمل اسم ترعة البولاقية القبلية ، وبينهما منية السيرج ومقام سيدى رمضان ، وتستمر الترعتان إلى أن تتقاطعا مع ترعة الجلادة . ومن أشهر الشوارع على يمين شارع شبرا شارع بابا دوبلو . حمدى . . البراد . . المنظرة .

وبالطبع انتهت الترعة البولاقية من فمها عند نيل القاهرة بين مقر شركة ترام القاهرة

(الآن فندق رمسيس هيلتون) ومبنى الاتحاد الاشتراكى ؛ ليتحول هذا إلى ميدان عبد المنعم رياض ثم إلى شارع الجلاء . . ويظل القسم من أول شبرا إلى نهايتها يحمل اسم شارع الترعة البولاقية ؛ أى انتهت الترعة وأصبحت مجرد لافتة على شارع !!

ولأن شبرا تدين بإنشائها إلى محمد على باشا ، وتدين باتساعها وتطورها إلى أسرته المالكة أى الأسرة العلوية ، فإننا نجد فى شبرا العديد من المناطق أو الشوارع التى تحمل أسماء هذه الأسرة . . فنجد شارع حليم باشا ، وهو عبد الحليم باشا ابن محمد على ، والذى ورث قصر شبرا عن والده العظيم ، ونجد شارع رفعت وهو ابن إبراهيم باشا أى حفيد محمد على ، ونجد شارع سعيد باشا وهو ثالث حكام مصر بعد محمد على نفسه ، ونجد شارع مدرسة التوفيقية . . ومنطقة النزهة حيث كان قصر إسماعيل . . وشارع الباشا . . والمقصود هنا محمد على نفسه . . ونجد شارع التاج . . كما نجد شارع إنجه هانم أرملة الوالى محمد سعيد باشا .

وبالطبع انتهت معظم هذه الأسماء فى فترة المد الثورى لثورة يوليو ، التى كانت تطارد كل ما له صلة بالأسرة المالكة ، دون أن تدرى أنها بذلك تهدم تاريخاً مازال عالقاً بذاكرة الناس ، بدليل أن هناك التوفيقية . . ومدرسة التوفيقية رغم أن توفيق كان سبة الأسرة المالكة ، وهو الذى استعان بالإنجليز ليخلصوه من الثوره العرابية الشعبية . . ليحتلوا مصر كلها فى عهده لمدة ٧٤ عاماً بالتمام والكمال . . ومازال فى مصر مدينة بورتوفيق وحى التوفيقية وسوق التوفيقية فى قلب القاهرة التجارى !!

وقد تعرض قصر محمد على فى شبرا لعلميات مد وجذر ، وعاش فترات من المهانة والإهمال . . بعد أن عاش عصراً من الزهو والفخار .

إذ مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، وبالمفهوم الذى ساد وقتها بفتح القصور الملكية أمام الشعب ، وشغلها بالمصالح والإدارات الحكومية . تم فتح قصر شبرا . . وبالمفهوم نفسه ، تم فتح قصر عابدين وحدائقه للعامة ، وتم شغل حجراته وأجنحته بإدارات الإصلاح الزراعى وإدارة الاستيلاء وغيرها من الإدارات التى نشأت مع الثورة ، حتى

كاد هذا القصر العظيم ينهار ، ويفقد قيمته كمقر رسمى للحكم فى مصر . . ولولا يقظة تعرف قيمة التاريخ لتم تدمير قصر عابدين تماماً . . تلك اليقظة التى بدأت فى عصر الرئيس الراحل أنور السادات ، الذى أمر بإخلاء القصر من الإدارات التى احتلته واغتصبته وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أجنحة القصر . حتى جاء عصر الرئيس حسنى مبارك ، فتم إخضاع القصر لعملية ترميم وإنقاذ شاملة ، أعادت له رونقه وبهاءه ، ليس فقط بمجرد ديكورات أو دهانات ، بل إنقاذ البناء نفسه ، والمحافظة على ما فيه من ثروة معمارية وأثاثات ورياش لاتقدر بمال حتى أنه كان يعد فى مقدمة أفخم قصور العالم !

وتعرض قصر شبرا للجريمة نفسها ؛ إذ تم شغل أجزاء منه ، ومن حدائقه بكلية الزراعة التابعة لجامعة عين شمس . . ثم بالمعهد التعاونى الزراعى العالى وغيرها من المنشآت . واستمرت هذه الجريمة أكثر من ٣٠ عاماً إلى أن تنبهت الدولة وقررت إنقاذ القصر مما انحدر إليه حاله . واستعادته الدولة ، وبدأت وزارة الثقافة عمليات ترميم وإنقاذ شاملة له ، شملت مبانيه وحدائقه والبركة الصناعية الرائعة التى تتوسطه ، وبدأ القصر يعود إلى بعض ما كان عليه عندما أقامه وعاش فيه منشىء مصر الحديثة : محمد على باشا الكبير .

وربما لايدرى معظم الذين يمرون بالسور الخارجى للقصر طبيعة وتاريخ هذا المكان، أو حتى يدرون ما هو . . وهو الذى لا يفصله عن شط النيل سوى طريق الكورنيش ، الذى يؤدى إلى مدخل طريق القاهرة ـ الإسكندرية الزراعى . وتمر به كل يوم آلاف السيارات العامة والخاصة ، وأكثر من مليون شخص يدخلون القاهرة ويخرجون منها كل يوم . وربما لا يعرفون شيئاً عن الذى بناه . . بل الذى بنى مصر كلها ونفض عنها ٣٠٠ عام من الانهيار والانحدار تحت الحكم الاستعمارى العثمانى ، الذى قضى على الدولة المصرية والاستقلال المصرى ، منذ هزم سلطانها قانصوه الغورى فى معركة مرج دابق شمال سوريا . . ثم هزم سلطانها الآخر طومان باى وشنقه على باب زويلة .

شارع شبرا فى منتصف القرن التاسع عشر حيث الخيول والحمير والجاموس وعربات الحنطور المفردة والمزدوجة بينما أشجار اللبخ والجميز على الجانبين تظلل الشارع بالكامل .

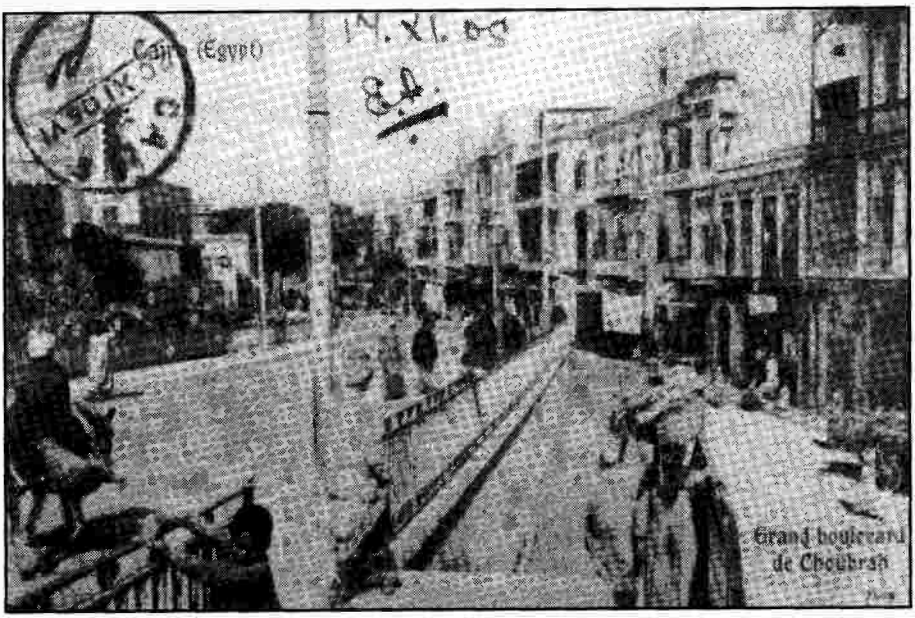

شارع شبرا كما كان يبدو بعد حوالى قرن على إنشائه . . فالصورة تشير إلى السنوات الأولى من القرن العشرين . ولاحظوا أن طابع البريد كانت قيمته مليمين ! !

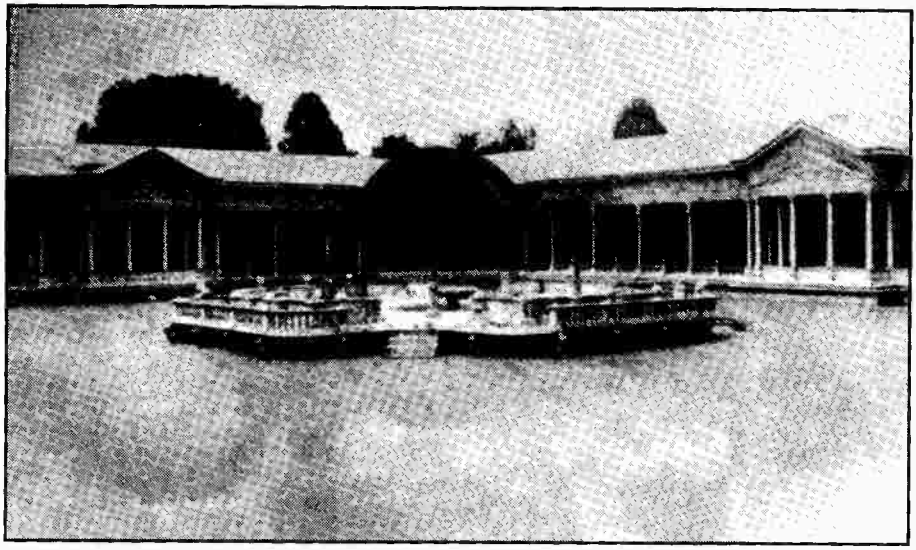

● فسقية قصر شبرا .

● وجانب من قصر محمد على فى شبرا .

مدخل قاعة البلياردو فى قصر محمد على بشبرا .

قصر الأمير عمر طوسون فى شبرا وهو حفيد سعيد باشا والى مصر الثالث بعد محمد على الذى شجع الأمراء على البناء فى حى شبرا وأصبح اسم طوسون من علامات الحى كله .

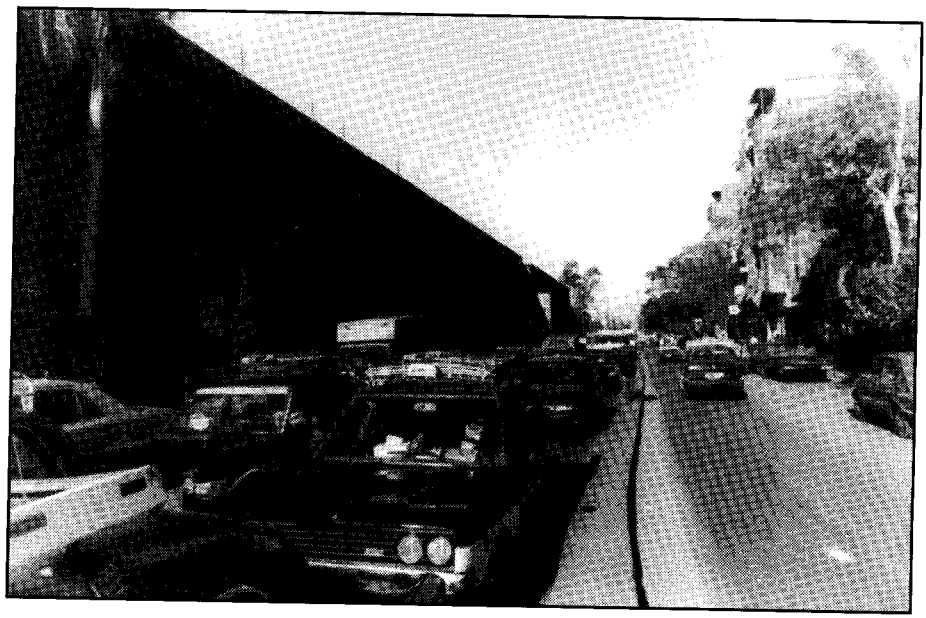

شارع روض الفرج من أهم شوارع شبرا وروض الفرج .

شارع شبرا بعد أن تمت إزالة خطوط الترام وأصبح المرور فيه فى اتجاه واحد للقادم من شمال القاهرة . . والمتجه إلى باب الحديد ووسط العاصمة .

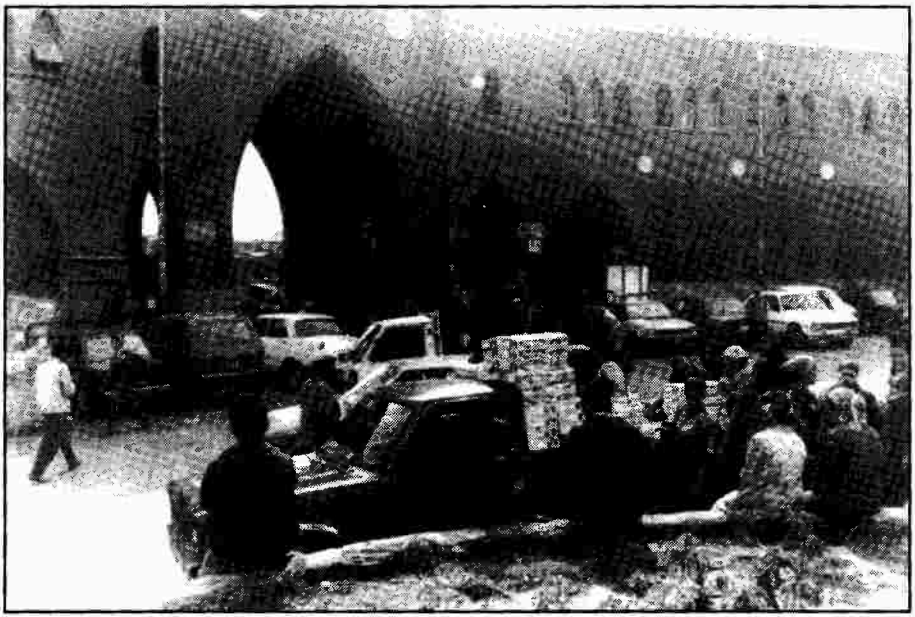

سوق روض الفرج القديم للخضر والفواكه كان من أبرز معالم حى شبرا وروض الفرج ، قبل أن ينقل السوق إلى مدينة العبور .